

المشروع التطبيقي لفلسفة جديدة (جيل دولوز أنموذجا)

الباحثة د. عمران صورية

الملخص:

" الفلسفة لن تكون أي شيء إن كانت لا تحمل توقيع مبدعيها "

ترجع أهمية موضوع العمل في فلسفة "جيل دولوز" إلى أنه يلقي الضوء على أحد المفاهيم الأساسية في اشتغال دولوز والمتوجه نحو قراءة الفلسفة لنفسها، الطموح الذي عملت نحوه الفلسفة بدأب خلال فترات مختلفة من تاريخها، من خلال فلاسفة لا جدال حول إسهامهم الفلسفي ويمكن التمثيل لذلك بكل من عمل هيدجر : "ما الفلسفة؟" وهو سرل : " الفلسفة علما دقيقا". "جيل دولوز" بكتابه الموسوم : " ما هي الفلسفة؟" وضع حد لكل محاولات إنهاء الفلسفة، ونفي عبارة "موت الفلسفة" أو تجاوز الميتافيزيقا، محاولا ربط العناصر الوظيفية (العلم) والمفاهيم (الفلسفة) والأحاسيس (الفن) أي الأشكال الثلاثة للفكر على صعيد المحايثة، فالفلسفة لديه تظل وظيفة راهنة تماما في "خلق المفاهيم"، ومن هذا التعريف المثير "الفلسفة إبداع المفاهيم" أردنا الإجابة عن التساؤلات العديدة:

- ما دور الفلسفة في إطار التقدم العلمي والتكنولوجي؟
- كيف يمكن أن تكون فيلسوفا في عصر تحول فيه الإنسان موظف للتقنية ؟
- ما هو أفق ومستقبل الفلسفة في وسط عالم الرقمنة ؟

وأخيرا ما دور الفلسفة في عصر التفسير الآلي والتقني على مختلف المستويات؟

على أن جاء التغيير مع دولوز في مسألة استخدام الفلسفة لإبداع المفاهيم، وكأنه تحدٍ للحيرة ومجاهدة للوعي إطلاقا، لكشف حقيقته واجدا لنفسه أرضا أخرى ومسطحا آخر ليمارس كينونته ووجوده على نحو مغاير معلنا في ذلك مفهوما آخر للفلسفة ووظيفة أخرى للتفلسف. قد يصعب قراءة جيل دولوز لتداخل اهتماماته الفكرية، لكن فكره يظل راهنيا، لا لكونه يجيب بكيفية مباشرة عن كل إشكالات العالم، لكنه يقدم كفايات جديدة للتخلص من عبأ الصورة الكلاسيكية التي هيمنت على الفكر الإنساني والانفتاح على الممكن بإبداع صورة جديدة للفكر تستجيب للراهن، وهنا تكمن ضرورة تقديم دراسات عربية عن هذا الفيلسوف، فالعالم العربي في حاجة ماسة إلى هذه المساحات المضئفة في التاريخ الإنساني لا مجرد إستنساخها.

*الباحثة: الدكتورة عمران صورية، philosoria@gmail.com، شهادة الدكتوراه في الفلسفة، مشروع المنطق وفلسفة العلوم، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية. مخبر: فلسفة علوم، وتنمية بالجزائر، جامعة وهران 2 محمد بن احمد

إن الصعوبة التي تواجه الباحثين فلاسفة كانوا أم لا في مجال دراسة الفلسفة هي في تحديد معانيها ومدلولاتها، وصعوبة الأمر لا تكمن فقط في الدلالة الوصفية المجردة للمصطلح فقط، بل تتعداه إلى الاختلاف في تقويم الفلسفة وتحديد طبيعة انجازاتها. وفي هذا السياق نود الإشارة إلى أن تعريف الفلسفة يختلف بحسب أي فيلسوف ونظام المدرسة الفلسفية التي ينتهي إليها أو من يكون هو مؤسسها، كما أنه يتعذر إعطاء أي تعريف واف للفلسفة ما لم يتم تثبيت تاريخ معين لنشوتها، ذلك لأن المهام التي تولاهها الفلاسفة قد اختلفت من عصر إلى عصر خلال التطور التاريخي. لذلك كان قد شكل جيل دولوز إلى جانب ميشال فوكو وجاك دريدا، أحد أهم أقطاب الفلسفة الفرنسية ما بعد السارترية سؤالاً أساسياً، والذي يفترض أنه يمثل بداية كل تفكير في الفلسفة وبداية كل مشروع فلسفي، فأين تتجلى معالم التفكير الفلسفي ونمط اشتغاله ؟

ترجع أهمية موضوع العمل في فلسفة "جيل دولوز" إلى أنه يلقي الضوء على أحد المفاهيم الأساسية في اشتغال دولوز والمتوجه نحو قراءة الفلسفة لنفسها، الطموح الذي عملت نحوه الفلسفة بدأب خلال فترات مختلفة من تاريخها، من خلال فلاسفة لا جدال حول إسهامهم الفلسفي ويمكن التمثيل لذلك بكل من عمل هيدجر : " ما الفلسفة؟" وهوسرل : " الفلسفة علما دقيقا".

"جيل دولوز" بكتابه الموسوم : " ما هي الفلسفة؟" وضع حد لكل محاولات إنهاء الفلسفة، ونفي عبارة "موت الفلسفة" أو تجاوز الميتافيزيقا، محاولاً ربط العناصر الوظيفية (العلم) والمفاهيم (الفلسفة) والأحاسيس (الفن) أي الأشكال الثلاثة للفكر على صعيد المحايثة، فالفلسفة لديه تظل وظيفة راهنة تماماً في "خلق المفاهيم"، ومن هذا التعريف المثير "الفلسفة إبداع المفاهيم" أردنا الإجابة عن التساؤلات العديدة:

- ما دور الفلسفة في إطار التقدم العلمي والتكنولوجي؟
- ماذا تعني مفاهيم عصرنا أو أي عصر كان ؟
- كيف يمكن أن تكون فيلسوفا في عصر تحول فيه الإنسان موظف للتقنية ؟
- ما هي الصورة الفلسفية لمشكلات هذا العصر ؟
- ما دور الفلسفة في عصر التفسير الآلي والتقني على مختلف المستويات ؟

وأخيرا ما هي أحسن طريقة لإتباع كبار الفلاسفة، هل هي في ترداد ما كانوا قد قالوه، أو القيام بما قد قاموا به، أي إبداع مفاهيم لمشكلات تتغير بالضرورة ؟
على أن جاء التغيير مع دولوز في مسألة استخدام الفلسفة لإبداع المفاهيم، وكأنه تحدٍ للحيرة ومجاهدة للوعي إطلاقا، لكشف حقيقته واجدا لنفسه أرضا أخرى ومسطحا آخر ليمارس كينونته ووجوده على نحو مغاير معلنا في ذلك مفهوما آخر للفلسفة ووظيفة أخرى للتفلسف.

قد يصعب قراءة جيل دولوز لتداخل اهتماماته الفكرية، لكن فكره يظل راهنيا، لا لكونه يجب بكيفية مباشرة عن كل إشكالات العالم، لكنه يقدم كيفيات جديدة للتخلص من عبأ الصورة الكلاسيكية التي هيمنت على الفكر الإنساني والانفتاح على الممكن بإبداع صورة جديدة للفكر تستجيب للراهن .

نستهل هذه الورقة البحثية بالعودة إلى أصل القضية ألا وهي ارتباط الفلسفة بالمفهوم، وللحديث عن هذه القضية لا بد من إبراز تطور المفهوم بالموازاة مع تطور فعل التفلسف، ولتوضيح عمق هذه العلاقة لا بد النظر في تاريخية الفلسفة لمعرفة السجل الذي يحمله هذا النمط المتميز من التفكير " الفلسفة " واستحضار أهم النماذج فيه بدءا بسقراط .

فنجد هذا الأخير يعرف الفلسفة : " هي كل معرفة من خلال المفاهيم، ولما كان العقل هو العنصر الكلي في الإنسان فإنه سيترتب عليه التوحيد بين المعرفة والمفاهيم، فالمفاهيم تتكون استقرائيا عن المقارنة، والاستدلال الاستقرائي معني بتكوين المفاهيم، فيكون التعريف هو مجرد التعبير عن المفهوم بالكلمات " ¹.

هنا تتضح لنا علاقة الفلسفة بالمفهوم التي يمتد الحديث فيها إلى ما قبل سقراط، حيث أصبحت الحكمة مرتبطة بالبحث في أصل العالم، مما يتطلب من هؤلاء الفلاسفة اجترار مجموعة من المفاهيم التي تحاول إرجاع الكثرة أو التعدد إلى الوحدة والرجوع هنا إلى عماد الفلسفة اليونانية سقراط كان عن قصد لارتباط اسمه بالبحث عن التعريفات والحدود والمفاهيم يهدف إلى تمييز الأشياء من حيث جنسها ونوعها وعدم الخلط بينهما .

¹ عباس فيصل : " موسوعة الفلاسفة " ، دار الفكر العربي ، بيروت، ص 30.

كما يرجع له الفضل في كتابة أول معجم فلسفي ظهر في تاريخ الفلسفة والذي ضم ثلاثين تعريفاً لثلاثين مصطلحاً فلسفياً منها : العلة، الوجود، الواحد، الكثير، المشابه، المخالف، المبدأ، العنصر، الطبيعة، الضروري، الآخر، المتقابلات، المتضادات، المتقدم، المتأخر، القدرة، الكم، كيف ... الخ.²

جيل دولوز (1925-1995) فيلسوف وناقد أدبي وسينمائي فرنسي ناقش رسالتين الأولى: " الإختلاف والتكرار" بحضور كوندياك والثانية: " سبينوزا ومشكلة التعبير " بحضور فرديناند ألكيه، ومن مؤلفاته " فلسفة كانط النقدية"- "نيتشه والفلسفة" - "المعرفة والسلطة"- " التجريبية والذاتية"- " حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي" ليلتقي في السنة نفسها النفساني "فليكس غتاري" و يبدأ بتدريس الفلسفة في جامعة فانسين، و يتقاعد سنة 1987. و توفي عام 1995.

ففي مؤلفاته العديدة أكد جيل دولوز ضرورة اللجوء إلى فهم جديد للفلسفة ومفاهيمها ولتاريخها العريق من خلال الانخراط الفاعل في الحياة، ومن هنا يرى دولوز أن الفلسفة مازالت صامدة بوجه من يروج لموتها، وصمود الفلسفة هذا يتطلب احتفاءها بالإبداع من خلال وظيفتها الإجرائية والمعرفية، كون الفلسفة هي : "الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم، في حين أن موضوعها هو إبداع مفاهيم دائمة الجدة".³

ومثلما دافع دولوز عن وجود الفلسفة نراه يدافع عن وجود الفيلسوف، وهو الدافع الحيوي الذي ينسق به نظرية موت المبدعين، فمثلما دعا إلى ابتكار المفاهيم وصنعها وإبداعها نراه يدافع أيضاً عن المبدع بوصفه فيلسوف وهو الذي قال يوماً ما : " لن تكون المفاهيم أي شيء من دون أن تحمل توقيع مبدعها".⁴

بهذا لقد أعاد دولوز الاعتبار لاستقلال الفلسفة كمعرفة قائمة برأسها في ظل هيمنة الفلسفات الجزئية التي ظهرت في القرن العشرين، ولكنه أكد في الوقت نفسه عدم انعزال

² إمام عبد الفتاح إمام : " مدخل إلى الميتافيزيقا " ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2005، ص 390 بتصرف.

³ جيل دولوز وفليكس غتاري : " ما هي الفلسفة"، ترجمة: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت-باريس، 1987، ص 30.

⁴ جيل دولوز وفليكس غتاري : " ما هي الفلسفة"، ص 30.

الفلسفة عن فضاءات المعرفة المحيطة بها، فعندما تستورد الفلسفة مفاهيم وإشكاليات ما، فلا يمكنها أن تتجنبها، بل تجد نفسها مجبرة على إعادة شحذها، وإعادة اشتغالها في خدمة مشكلاتها الخاصة بها، وإعادة إبداع مفاهيمها، وهي بذلك تبتدعها لذاتها وبذاتها فقط.

أردت عرض ما عنوانته بالمشروع التطبيقي لفلسفة جديدة مع جيل دولوز من خلال إثارة الاهتمام للكتاب الذي قدم لنا جديد الفلسفة والذي كان بالتعاون مع فليكس غتاري " ما هي الفلسفة؟" وتحدي قراءته من جديد لجذته و لكونه يطرح قضية فلسفية تخص ذات الفلسفة خاصة و الفكر عامة ، من حيث قضية الفكر كإبداع ، و الفلسفة كإبداع و ليس كمجرد موضوع للتنظير .

صدر الكتاب عام 1997 حيث استهل جيل دولوز مقدمة كتابه " ما هي الفلسفة " ب : " ذلك هو السؤال إذا" على أن هذه العبارة نتيجة بحث ودراسة وتفكير (السؤال كنتيجة) وعلى أن هذا السؤال هو ما يستحق الإجابة عنه والتأمل فيه وأن حالة الاستغراب التي تكتسي العبارة كافية لأن نشعرنا بأن دولوز يوحى إلينا كما لنفسه، أنه توصل أخيرا إلى السؤال الأساسي، والذي يفترض أنه يمثل بداية كل تفكير في الفلسفة وبداية كل مشروع فلسفي تطبيقي .

ثم نجده يضع إجابة نموذجية لا تقل أهمية عن السؤال نفسه، وهي أن الفلسفة إبداع للمفاهيم وهو الجواب الذي أراه ثوري شكلا ومضمونا عن الفلسفة كتفكير وعن تعريفات الفلسفة السابقة ، " أن الفلسفة هي فن تكوين وإبداع وصنع المفاهيم".

يخبرنا دولوز عن ثلاث أركان لفلسفة الفيلسوف: مسطح المحايثة⁵ ، المفاهيم⁶ ، الشخصيات المفهومية⁷.

و بعد المقدمة التي استعرض فيها أو من خلالها " جيل دولوز" مجمل فلسفته بعرضه للسؤال الفلسفي وإجابته النموذجية.

⁵ الذي يشيده و يتحرك داخله الفيلسوف و فلسفته.

⁶ التي يبتدعها.

⁷ التي تحمل هذه المفاهيم و هي تجسيد للمفاهيم ضمن هذه الأركان الثلاثة.

يكون السؤال.

"ما هي الفلسفة؟" كتاب في هندسة المفهوم، هذا المعمار القائم دائما على حوافي كل الأراضي الخوالي المجهولة، لقد أراداه صاحبه حقاً تاج المعمار، حيثما يتوقف صعود المعمار، ويبدأ الكون، النص عامر بأسر متنوعة من المفاهيم الناقصة، شبه المنفتحة، المعروفة والمستحدثة، النص يسترد ثروة الاصطلاح اللانهائي الذي تمرست به كتابة الفيلسوف في مئات النصوص السابقة، غير أن المصطلح الفلسفي والدولوزي خاصة لا تعريف له، وينفر من التعريف.⁸

إنه ليس فقط سؤالاً شخصياً، بل يكاد يكون سؤال عصرنا الراهن، ولعل أبرز ما عبر عنه في السنوات الأخيرة واحد من أبرز فلاسفة فرنسا المعاصرين هو جيل "دولوز" في كتابه الذي صدر عام 1991 بالمشاركة مع فيلسوف فرنسي آخر هو "فيليكس غتاري"، والكتاب هو آخر كتبه قبل انتحاره كتبه في أواخر عمره بعد عمر طويل من البحث والإبداع الفلسفي، لماذا السؤال بعد كل هذا العمر من الممارسات الفلسفية.

ما هو المفهوم؟ :

الفلسفة إبداع المفاهيم ، ولكن "المفاهيم " بحاجة إلى شخصيات مفهومية إذ الفيلسوف صديق المفاهيم وصانعها ، وهذا يعني أن الفلسفة ليست مجرد فن تشكيل أو ابتكار وصنع المفاهيم ، ذلك أن المفاهيم ليست بالضرورة أشكالاً أو اكتشافات أو مواد مصنوعة .

تقوم عظمة الفلسفة بطبيعة الأحداث التي تدعونا إليها مفاهيمها، أو تجعلنا قادرين على استخراجها من المفاهيم، وتجدر الإشارة أيضاً إلى وجوب اختيار العلاقة الوحيدة والخاصة في أبسط جزئياتها التي تربط المفاهيم بالفلسفة باعتبارها ميداناً مبدعاً " ينتمي المفهوم إلى الفلسفة ولا ينتمي إلا إليها".⁹

⁸ جيل دولوز وفليكس غتاري : " ما هي الفلسفة"، ص 23.

⁹ جيل دولوز وفليكس غتاري : " ما هي الفلسفة"، ص 54.

فأقول بشكل عام أن الفلسفة هي الحقل المعرفي القائم على خلق المفاهيم ، مع أن المفاهيم ليست جاهزة هذا يعني أنه ليست هناك سماء للمفاهيم ، بل ينبغي ابتكارها وإبداعها .

وقد يتطلب المفهوم ذوقا فلسفيا خالصا ، يشكل داخل اللغة لغة فلسفية ، ليس مجرد قاموس المفردات ، وإنما سياق فكري يرقى إلى مستوى سام .

لقوله أن المفهوم مطلق ونسبي في آن واحد، نسبي بالنسبة لمركباته الخاصة، وللمفاهيم الأخرى، وللمسطح الذي يتعين فوقه، وللمشكلات التي يفترض أن يحلها، لكنه مطلق بفعل التكتيف الذي يحققه، وبفعل الحيز الذي يشغله فوق المسطح، وبفعل الشروط التي يحددها للمشكلة، إنه مطلق من حيث هو كل لكنه نسبي من حيث هو تجزيئي.¹⁰

ولم يتم الاهتمام بطبيعة المفهوم كواقعة فلسفية ، فقد اعتبره الفلاسفة معرفة أو تمثلا معطين (أي كنسق جاهز) كانا يفسران بواسطة الملكات القادرة على تشكيله كالتجريد أو التعميم أو استعماله كحكم ، لكن المفهوم عند "دولوز" لا يعطى وإنما يخلق ، فهو لا يشكل وإنما يطرح نفسه بنفسه طرحا ذاتيا ، وعنده بقدر ما يكون المفهوم مبدعا ، فانه يطرح نفسه .

هذا ما يلخص قوله : "أن الفلسفة تعمل عبر الجملة لكنها ليست دائما القضايا هي التي نستخلصها من الجمل على العموم، فنحن لا نتوفر بعد إلى هذا الحد سوى على فرضية جد واسعة، من جمل أو مما يعادلها تستخرج الفلسفة مفاهيم التي لا تختلط مع الأفكار العامة أو المجردة".¹¹

إن المفاهيم الفلسفية هي كليات غير مترابطة ، و غير متطابقة ، مما يعني تشظيها¹² مع أن المفاهيم والمقام أو المسطح متقاربة بشكل كبير إلا أنها غير متطابقة فيما بينها ، و مقام المحابثة ليس مفهوما ، و لا مفهوم المفاهيم و كون الفلسفة ذات نزعة بنائية فذلك يعني

¹⁰ جيل دولوز وفليكس غتاري : " ما هي الفلسفة" ، ص 44.

¹¹ جيل دولوز وفليكس غتاري : " ما هي الفلسفة" ، ص 46.

¹² ج . شظايا ، أي تباعدها .

خلق المفاهيم و إشادة المسطح . لذلك يشبه دولوز المفاهيم بالموجات المتعددة التي تعلو وتهبط، بينما مسطح المحايثة هو الموجة الوحيدة البارزة التي تلفها وتنشرها .

مسطح المحايثة:

"الفلسفة لن تكون أي شيء أن كانت لا تحمل توقيع مبدعها".

المسطح: هو الذي يسمح بولادة المفهوم و يكون جزءا منه.

الفكر يبدع المفاهيم الفلسفية على مسطح المحايثة بكل أوهامه و حقائقه، و تعتبر الشخصية المفهومية الفاعل الأساسي لكل قول أو مفهوم فلسفي ناجح.

"مسطح المحايثة" مفهوم دولوزي، الذي هو ليس مفهوما، لأنه منفتح باستمرار، انفتاحا مطردا يمنع تكون "الشخصية المفهومية".

المحايثة: تعني الملازمة لكائن أو لمجموعة كائنات و لا ينشأ المحايث عندها من فعل

خارجي.

ومن قول "جيل دولوز" أن الفلسفة إبداع المفاهيم و تشييد لمسطح المحايثة في عمليتين مختلفتين إنما متلازمتان، و يمكن أن نفهم أن المسطح عنده هو حدس الواحد الكل و أن المفاهيم هي عروقه النابضة بالحياة.

ويعتبر "دولوز" مسطح المحايثة و كأنه قبل - فلسفي ، مفترض مسبقا ، ليس على شكل مفهوم معين يمكن أن يحيل إلى مفاهيم أخرى . بل إن المفاهيم تحيل هي ذاتها إلى نوع مكن فهم حركات لا مفهومية ، فعند "ديكارت" : الكوجيتو الديكارتى "أنا أفكر" هو مفترض من قبل كمفهوم أول .

حتى أن "دولوز" يعتبر كل من "كانط" و "هوسرل" - انطلاقا من "ديكارت - الكوجيتو مقام المحايثة باعتباره حقل الوعي ، أي محايثة لوعي خالص ، ولذات مفكرة قابلة للتعالي و ليس "متعالية كما يسمها "كانط" الترسندالتي .

تفرض كل قراءة تستهدف النسق السبينوزي الانطلاق من تصوره لطرائق الفهم ويحددها سبينوزا في ثلاث:

- الرأي : تتشكل فيه الأفكار عبر النظام الشفوي المبني على سلطة الخطيب المفوه وسلطان الكلام المتوارث، في مقابل سلبية المتلقي المستمع القابل للتصديق والتسليم والطاعة العمياء للمتكلم، بسبب تعطيل ملكات النقد والفحص والسؤال.
 - العلل : تتشكل فيها الأفكار انطلاقا من ربط العلة بالمعلول أو استنتاج نتائج من أمر عام، يعتبر هذا النمط من الإدراك أسمى من الرأي، غير أنه يبقى عاجزا عن إدراك حقيقة الأشياء في ذاتها على اعتبار أنه بحاجة إلى وساطة تمكنه من الفهم.
 - الماهية : إدراك حقيقي لماهية الأشياء وكنهها بلا وسائط، تتحقق فيه المعرفة المتطابقة مع موضوعها، ولا يمكن لهذه المعرفة أن تتحقق إلا بالانطلاق من الفكرة الكاملة الواضحة والمطلقة التي في ضوءها يسير العقل مكتشفا الحقيقة ونقائضها في الآن عينه.
- يفرض هذا النمط من الفهم اشتغالا محايا على ماهية الأشياء من دون إحالات خارجية كما هو الشأن في الرياضيات التي تعنى ليس بالغايات، وإنما بماهيات الأشكال وخصائصها، والتي أشاعت أمام الأدميين معيارا آخر للحقيقة.¹³
- فالفلسفة تاتي لتشيد المقام و تبدع المفهوم ، إذ المفهوم بداية الفلسفة و المسطح إشادة لها، وبالتالي فان مسطح المحايثة هو أرضية الفلسفة وتأسيسها، بذلك توحيد الفلسفة حيثما توجد المحايثة فيرسم الفيلسوف مقام التشييد و يقيم عليه صورة للفكر ، ومادة جديدة للكينونة .

الشخصيات المفهومية:

بما أن الفيلسوف صديق المفهوم فهو بالقوة مفهوم كما لو أن الفيلسوف يمتلك القوة والقدرة على الإبداع، لأن المفاهيم ليست جاهزة كما لو كانت أجساما سماوية، ليست هناك سماء المفاهيم بل ينبغي ابتكارها، أو بالأحرى إبداعها.

فالمفاهيم هي بحاجة إلى شخصيات مفهومية تساهم في تحديدها.

¹³ باروخ سبينوزا : " علم الأخلاق " ، ترجمة : جلال الدين سعيد، مراجعة : جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 74.

الشخصية المفهومية: تعبير عن الإيجاب، عن ما أنجز، عن ما يحمله الفيلسوف من مسطح محايثة جديد للفلسفة، متضمننا في تكوينه مثلما كل تفكير صورة للفكر أيضا. كان دولوز قد ميز بين دالتين للمفهوم، الأولى يعتبرها ميتافيزيقية ينظر بها إلى المفهوم بوصفه "تجريدا عقليا يحاول أن يحدد جملة من الصفات والنوع الثابتة التي تحملها على مجموعة من الموجودات بغرض إدراكها وتوحيدها في هوية.¹⁴ فالتشخيصات المفهومية هي المفكرون، وسماتهم النمذجية (البيانية) في الفكر ومع سماتهم التكتيفية في المفاهيم.

حيو فلسفة:

وهنا يتكلم عن مكونان اثنان: الإقليم و الأرض و الذي تتبعهما منطقتان من عدم التمييز: الأول: هو انتشار الأقلمة (من الإقليم إلى الأرض) و الثاني هو إعادة الأقلمة (من الأرض إلى الإقليم) بحيث يتعذر قول أيهما أسبق، ثم يتساءل بأي معنى يمكن اعتبار اليونان إقليم الفلسفة أو أرض الفلسفة. ولتوضيح التقارب بين نيتشه ودولوز فيما يخص المفهوم الفلسفي سنستحضر قول نيتشه: "إن مختلف المفاهيم الفلسفية ليست شيئا اعتباطيا ولا ينمو الواحد منها بمعزل عن الآخر بل في علاقة وقرابة مع المفاهيم الأخرى، ومهما بدا ظهورا اعتباطيا وفجائيا في تاريخ الفكر فإنها لا تنتهي إلى نفس النسق، هذا يظهر في الأمانة التي يأخذ بها الفلاسفة الأكثر اختلافا الواحد تلو الآخر، مكانهم داخل تصور معين مقدم لفلسفات ممكنة، هناك سحر خفي يجبرهم على أن يجوبوا بلا كلل نفس المدار دائما، ومهما حسبوا أنفسهم مستقلين بعضهم عن بعض في إرادة إنشاء أنساق ما، فإن فيهم شيئا ما يوجههم، شيئا يحرضهم على التابع في نظام محدد، هو بالضبط النظام النسقي الفطري للمفاهيم وقرابتها الجوهرية، ويقتضي فكرهم في الحقيقة أن يكشفوا أقل مما يقتضي أن يعترفوا،

¹⁴ عادل حدجامي : " فلسفة جيل دولوز عن الاختلاف والتكرار"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2012، ص 147.

أن يتذكروا، أن يرجعوا إلى الورا، وأن يعودوا إلى مسكن النفس القديم والبعيد جدا، الذي صدرت عنه المفاهيم في زمن عابر.¹⁵

فإن "دولوز" على حد تعبيره يكاد أن يعطي الفلسفة طبيعة أو دلالة مكانية ملموسة، بقوله: دلالة أرضية محددة أي جغرافية، ولهذا اقتصرها على اليونان القديمة، و على أوروبا الحديثة. كما أنه كان متأثرا بمفهوم "الجيوفلسفة" عند نيتشه.

وهذا ما أوضحه الأخير في القول أن النشاط الفلسفي هو نوع من الردة الوراثة الأعلى، هذا الشعور العائلي الغريب بين سائر الفلسفات الهندية والإغريقية والألمانية، يفسر نفسه ببساطة كبيرة، ومادامت هناك قرابة لسانية فلا فكاك من أن يتهاى كل شيء مقدما من أجل تنمية وتلاحق متماثل للأنساق الفلسفية.¹⁶

فإن "دولوز" لم يقل بالعقل الإغريقي بل قاداته نزعتة المركزية إلى القول بأن المفاهيم إغريقية، ثم القول أن الفلسفة إغريقية من حيث حب الحكمة، لكن نجده يعترف في نفس الوقت أن الحضارات الأخرى لديها حكماء لكن ليس لديها فلاسفة، لأن الفلسفة إغريقية المكان فهي تمثل المثقف الصديق: "إذا كانت الحضارات الأخرى تتوفر على حكماء، غير أن الإغريق يمثلون هؤلاء (الأصدقاء) الذين ليسوا مجرد حكماء أكثر تواضعا".

هكذا يحيل المفهوم إلى أفاهيم¹⁷ أخرى متضمنة داخل تاريخه من جهة ويحيل كذلك على أخرى متضمنة داخل صيرورته من جهة ثانية. وهذه الميزة حسب دولوز كانت موجودة مع نيتشه في قوله: "الفيلسوف صديق المفهوم غنه بالقوة مفهوم"¹⁸ مفادها أن الفلسفة ليست مجرد فن تشكيل وابتكار وصنع المفاهيم، ذلك لأن المفاهيم ليست بالضرورة

¹⁵ فريديريك نيتشه: "ما وراء الخير والشر"، ترجمة: حسان بورقية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 31.

¹⁶ فريديريك نيتشه: "ما وراء الخير والشر"، ص 32.

¹⁷ جمع أفهوم وهو الوحدة الأصغر في المفهوم، بمعنى أن المفهوم يتكون من أفاهيم متعددة تشكل وحدة بما هي تعدد.

¹⁸ جيل دولوز وفليكس غتاري: "ما هي الفلسفة"، ص 30.

أشكالاً أو اكتشافات أو مواد مصنوعة، إن الفلسفة بتدقيق أكبر هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم .

في الأخير نجد جيل دولوز لا يهتم بموت الفلسفة أو تجاوز الميتافيزيقا، فالفلسفة لديه تظل وظيفة راهنة تماما في خلف المفاهيم، وينطلق من أن موضوع الفلسفة هو ابداع المفاهيم لينتقل موضعا هذا انطلاقا من مقارنة المجال المفاهيمي في باقي فروع المعرفة ، مستنتجا أننا أبدا لا يمكن أن نفكر في العالم والمواضيع دون أن نعطي لها مفهوم نحن نقوم ببنائه، ويمكن أن تكون هذه الاجابة المختصرة عن سؤاله المؤسس لكتابه: " ما هي الفلسفة؟ " ولذا قال عنه ميشال فوكو : " جيل دولوز فيلسوف المستقبل " وقال أيضا : " يوما ما سيصبح القرن دولوزيا "